تفريغ محاضرة

الشاكر الشكور

رواء الاثنين | د.هند القحطاني

٤/ ٥ / ١٤٤٤ هـ

الشاكر الشكور

إنّ الحمدلله، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله..

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى الله عليه وسلم- قَال: [بَينمَا رجُلٌ يَمشي بِطريق اشتَد بِه العَطشُ فَوجَد بِئراً فَنزلَ فِيها فَشرِبَ ثُم خَرج فَإذا كَلبٌ يَلهَثُ يَأكلُ الثرى مِن العَطَش فَقال الرَّجل: لَقد بَلغَ هَذا الكَلبَ مِن العَطشِ مِثل الَّذِي كَان بَلغَنِي فَنزلَ البِئرَ فَمَلأَ خُفهُ ثُم أَمسَكَها بِفِيهِ فَسقى الكلبَ فَشكَرَ اللهُ لَه فَغفرَ لَه، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وإِنَّ لَنا فِي البَهائِم أَجْرًا؟ قَالَ:فِي كُل كَبِدٍ رَطبَةٍ أَجر] (1)

هذا الحديث، قيل إنه جاء في رجل، وجاء في بغي من بغايا بني إسرائيل، وجاء في رواياتٍ عدّة. والشاهد أن هذا الفعل البسيط الذي حدث في صحراء لا يعلم عنهم أحد إلا الله عز وجل، حيث نزل هذا الرجل ليشرب، ولما رأى الكلب يكاد يموت من الظمأ، وما كان هناك لا كأس ولا إناء، فنزع خفه -وهو شيء مثل النعال- ونزل البئر وملأه بالماء، ثم رجع للكلب وأعطاه، ثم رجع مرة أخرى ونزل وملأ الخف بالماء، وصعد فأعطاه الكلب حتى ارتوى، فهو لم يأتِ بالماء من ثلاجة، بل كان ينزل ويصعد وينزل ويصعد، ولم يعلم أن هذا الفعل سيخلد في التاريخ، وأن أمة من الأمم ستأتي بعدهم بألاف السنين ويتحدثون بما فعله في هذه الصحراء الشاسعة، لم تسجله آلة تصوير، ولم يره أحد، ولكن الله عز وجل خلَّد له هذا الفعل حينما نظر إليه فشكر الله له.

نتكلم اليوم عن هذا الشكر، فكيف يشكر الله عز وجل عباده؟ وماذا يعني اسم الله الشكور؟ وماذا يعني اسمه جل وعلا الشاكر؟

نحن نعلم ما تعني صفة الشاكر والشكور، ونعرف ماذا يعني الشكر، ولكن كيف تكون كل تلك المعاني حينما تكون في حق الله عز وجل؟

اسم الله الشكور جاء في القران أربع مرات:

1- قال الله عزوجل في عباده المؤمنين: {لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ} (فاطر، 30)

2- قال الله عزوجل: {وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ} (الشورى، 23)

3- قال الله عزوجل: {إنّ الله شكورٌ حليم} (التغابن، 17)

أجمعت الآيات التي جاءت فيها لفظة الشكور على أن الله سيعطي عباده الأجر العظيم،وهذا العمل قد يكون يسيرا فيجزي به الله الأجر العظيم، وما العمل الكبير الذي قد يأتي به العبد والذي يستحق أجر الله العظيم هذا!

1أخرجه البخاري: صحيح

واسم الله الشاكر ورد في هذه الآيات:

1- قال عزوجل:{وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ} (البقرة، 158)

2- ويقول الله عزوجل:{مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا} (النساء، 147)

وهذه الآيات تدل على أن الإنسان مهما شكر فإن الله يشكره أكثر من شكره، واقترن لفظ شكور مع غفور لأن الله عز وجل يشكر لعباده ويغفر لهم عظيم الزلل، يقول المفسر: "**وجملة أنّه غفورٌ شكور تعليل بقصد تحليلها بأن الله كثيرٌ مغفرته لمن يستحقها، كثيرٌ شكره للمتقربين إليه**"

فنحن دوما ما بين شيئين، ما بين مغفرة الله عز وجل لذنوبنا، وبين عمل صالح نقدمه بما فيه من ضعف وآفات، وقد يكون مدخولا ومع ذلك يتقبله الله منا ويشكرنا عليه.

وجاء في السنة النبوية أن الرسول -عليه الصلاة والسلام- قال:[مَن صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لَم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتَّى تروا أنَّكم قد كافأتموه] (2)

فأي إنسان يصنع لك معروفا كائنا من كان، لأي فعل يكون كبر أم صغر، لا بد أن تشكره وتكافئه، وهذا هو الأصل، وهو ليس بإتيكيت اجتماعي أو أدب من الآداب نعلمه لأبنائنا، بل هو أمر نبوي.

قال قُتادة عن قول الله عزوجل **{إنّه غفور شكور}**:"أنه غفور لذنوبهم، شكورٌ لحسناتهم".

وقال الخطابي: "**هو الذي يشكر اليسير من الطاعة، فيُثيب عليها الكثير من الثواب، ويُعطي الجزيل من النعمة، ويرضى باليسير من الشكر**".

فلو قمت بعمل يسير كأن تسبح فتقول سبحان الله وبحمده فقط، سخر الله لك ملائكته، فلا يُعلم عددهم، ولا كيفيتهم إلا الله عز وجل، ويذهبون للجنة فيغرسون لك نخلة بهذه التسبيحة التي سبحتها في الدنيا، وإن ثنيتها غرسوا لك اثنتين، وإن ثلثتها غرسوا لك ثلاثة، وإن قلت مئة غرست لك مئة نخلة، وهذا ما تعمله من الأجر غير الذي لا تعلمه، قال تعالى: {والله يضاعف لمن يشاء} (البقرة 261) وإن قيلت باستشعار مميز يضاعف عن كل نخلة بعشرة، وربما مئة، والآكد أن أي عمل لايجزى عليه بمثله، بل الله شاكر فيثيب على العمل اليسير بالثواب الجزيل.

قال الشيخ السعدي -رحمة الله عليه-: "**هو الذي يشكر القليل من العمل الخالص، ويعفو عن الكثير من الزلل، ولا يضيع أجر من أحسن عملا، بل يضاعفه أضعافًا مُضاعفة بغير عدٍّ ولا حساب**".

وهذا نراه ونستشعره في الأعمال التي لا عدَّ لها ولا حساب، مثل الصيام والصبر، وهؤلاء يوفون أجورهم بغير حساب، ولا يستطيع المرء تخيل ذلك الأجر أبدا فالصبر على البلاء من فقد عزيز أو مرض معين ابتلاك الله به، والحمد والرضا به، والتصبر عليه،وهذا الألم اللي تجرعته والغيظ الذي كتمته،لن يذهب سدى وتأتي يوم القيامة فتنهل من الأجور بغير حساب،وتنصب صبا.

أما اقتران لفظ الشاكر مع العليم،فقالوا: "لأن الإنسان لا يشكر غيره لسببين: إما جحدا فهو لا يريد أن يعترف لك بفضلك ومعروفك له،وإما جهلا فلا يعلم بسعيك في حدث صار" وكلاهما ليست في حق الله عز وجل، فالله عز وجل عليم يعرف كل شيء تقوم به، ويجازيك عليه وهو شاكر، فلا يمكن أن يجحد من معروفك شيئا، أو من فعل الخير الذي تقوم به، قال الله عز وجل: {أليس الله بأعلم بالشاكرين} (الأنعام، 53).

2رواه أبو داود في سننه، وقال المحقق عبد الهادي البكري: صحيح

إن أسماء الله الحسنى متجذرة في حياتنا، ولا يمكن للإنسان أن يمضي في حياته دون أن يستشعر كل اسم منها، فكيف لك أن ترفع يديك دون أن تستشعر اسم الله القريب المجيب؟ وكيف لك أن تعيش في هذه الدنيا وأنت لا تعلم معنى اسم السميع وهو يراك ويسمعك؟ كل هذه الأسماء متجذرة في حياتنا، ولها أثر، **فكيف تكون الحياة حينما نؤمن باسم الله الشاكر الشكور؟ وما الذي يتغير عند استشعاره؟**

قال العلماء: "أول أثر من معاني اسم الله الشكور، أنّك تستشعر هذا الاسم بكمال منّته وإحسانه لك" ما الذي عملته اليوم؟ صليت فروضك الخمسة؟ هل صليتها بخشوع؟ بتمامها؟ أم أنك صليتها لترفع الحرج عنك فقط؟ كم أخذت منك الصلوات؟ خمس دقائق؟ غيرها ماذا فعلت؟ الأذكار؟

ولو حسبت عمرك وتأملت كم ساعة صرفت لله من حياتك، وكم منها للأكل فقط، وليس لشيء آخر، لرأيتما لا يسرك، فالله عز وجل هو الشاكر بكمال إحسانه، ويقبل من عباده الشكر، مع أنه لا يضره كفر الكافرين ولا جحود الجاحدين، ولو أن كل الناس جحدت نعم الله عليها، لن يضر الله شيء، ولن ينقص من ملكه شيء، ولو أن كوكب الأرض امتلأ بالفجور والفسق والشرور، وما بقي غير من يؤذي الله عز وجل، لا يزيد في ملكه عز وجل شيء، يقول الله عزو جل في الحديث القدسي:[يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك في ملكي شيئا] ([3]).

قال النبي -صلى الله عليه وسلم-:[أَطَّتِ السَّماءُ وَيَحِقُّ لَها أنْ تَئِطَّ والذِي نَفْسُ محمَّدٍ بِيَدِهِ مَا فِيها مَوْضِعُ شِبْرٍ إلا وفيه جبهة ملك ساجد يسبح لله بحمده] ([4])

وجاء في الرواية الأخرى عن أبي ذر -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: [إني أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ أَطَّتِ السَّمَاءُ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ] ([5]).

الله عز وجل ليس بحاجة سكان الأرض، وليس بحاجة مخلوقاته، وماهم بشيء، فهناك الكثير من الصحاري الشاسعة الخالية، والمحيطات التي لا يقربها بشر، أي أنها لا تساوي شيئا بالنسبة لسكان السماء، ففي السماوات السبع لا تجد موضع شبر واحد إلا وفيه ملك راكع أو ساجد، فالله غني عنا، وإنما جعل التكريم لمن آمن وعمل صالحا فقط لا أكثر ولا أقل.

كيف يشكر الله الذي عمل صالحا؟

- من شكر الله عز وجل لعبده، ثناؤه عليه في ملأ أو مجلس ذكر كما ذكره العبد وأثنى عليه في مجلس ذكر،يقول النبي-عليه الصلاة والسلام- في الحديث القدسي: [أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خيراً منهم] ([6])

3أخرجه مسلم: صحيح

4أخرجه السيوطي في الجامع الصغير وزياداته، وقال الألباني: صحيح

5أخرجه الترمذي في سننه، وقال الألباني: حسن

فلو صحت منا النيات في مجلسنا هذا، بأننا لا نبتغي إلا وجه الله عز وجل، وما جئت من بيتك إلا رجاء لوجه الله عز وجل، ذكرك الله عنده، فهل لك أن تتخيل عظم هذا الجزاء؟ فحينما تذكره عز وجل، وأنت من تكون؟ ذكرك الله. وذكر الله لا يكون بالتسبيح والتهليل فقط، بل إن شعور المنة والاعتراف بها ذكر، وقد يكون الاعتراف بالذنب ذكر، ومن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، فالله عز وجل يذكرك في نفسه، وشعور المنة والرجاء والخوف كلها يذكرك بها الله عنده، ومن يذكر الله في ملأ -أي في مجموعة من الناس- ذكره الله في ملأ خير منهم، والملأ قد يكون جبريل -عليه السلام- وقد يكون الملائكة، وقد يكونون حملة العرش، فيذكر الله اسمك عندهم كما ذكرته في الدنيا.

- ومن شكر الله عز وجل أنه إذا أحب عبدا ألقى محبته في العباد، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: [إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فأحِبَّه، فيُحِبُّه جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ :إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فأحِبُّوه، فيُحِبُّه أَهْلُ السَّمَاءِ، وَيُوضَعُ له القبول في أهل الأرض] (7)

وهذه المناداة عظيمة، وحب الله لعبده يكون بما أخبرنا به الرسول -صلى الله عليه وسلم- فقال: [قال الله تعالى: وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ] (8)

إذن قم بالفرض، وابتعد عن الحرام، وزد من النوافل.

والله إذا أحب عبدا نادى باسمه الصريح في السماء، فأحبه جبريل، ثم أهل السماء، ثم تُلقى له محبة في الأرض، ولذلك هناك من يكون محبوبا من الجميع، ويخترق حبه كل الحجب والحواجز لدى أي إنسان، لأن الله عز وجل إذا أراد المحبة لعبده، جعلها الله في قلوب العباد، ولذلك من أرضى الله بسخط الناس، رضي الله عليه وأرضى عليه الناس وإن كرهوا.

- ومن شكر الله عز وجل لعباده أن يوفقهم للخير، ويعينهم عليه، ثم يشكرهم على ذلك، كأن يكون لديك قرار بالتوبة من ذنب، وقد دعوت الله مرارا وتكرارا أن يساعدك ويعينك ويعطيك القوة لإتمام هذا الأمر، ولما أعانك الله وسددك واستطعت، أثابك الله عز وجل شكرا وأجرا عظيما، مع أن الله هو من أعطاك القوة وساندك، **قال الله عز وجل:** {مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ} (البقرة، 261)

ومن فضله عز وجل، أن العمل يُكتب بمئة ضعف إلى سبعمئة ضعف، وهذه ليست النهاية، بل يضاعف الله لمن يشاء، فلا تعلم ما العمل الذي قد ينجيك، الذي يتقبله الله منك بإخلاصك ويقينك، العمل الذي تدفعه مهرا للجنة، والذي لا ترجو به شيئا من الدنيا، فهذا العمل يُكتب بأجور مضاعفة، لا عشرة ولا مئة ولا سبعمئة، بل أكثر بكثير، قال

6أخرجه البخاري: صحيح

7أخرجه البخاري: صحيح

8أخرجه البخاري: صحيح

الله تعالى في الحديث القدسي:[وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً] (9)

ولاحظ كيف هو شكر الله تعالى مقابل جهدك، فحينما تقترب شبرا ضاعف الله الشكر واقترب منك ذراعا، ولما تقدمت بخطوة أكبر وخطوت ذراعا، أتاك الله عز وجل باعا، ومن جاءه مشيا أتاه هرولة، إذن من ركض لله فكيف سيكون جزاؤه وكيف سيكون شكر الله عز وجل له! والذي لا يُؤثر على رضا الله عز وجل شيء، لا اختلاف ولا شبهه، فما يرضي الله يأتيه، هؤلاء السباقون فأين هم؟!

- ومن شكر الله عز وجل أنه لا يجزي السيئة إلا بسيئة واحدة فقط، قال تعالى: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلا مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ} (الأنعام، 160) أيوجد شكر أعظم من هذا!

الله يضاعف العمل الصالح بأضعاف كثيرة، ولو عملت سيئة يكتبها في الميزان سيئة واحدة، وحينما نسمع هذا، نستسهل الأمور، فنعتقد أننا لو أتينا بعدد من الأعمال الصالحة، وتضاعفت مقابل السيئات التي تُكتب كل سيئة بمثلها فننجو، ومع هذا فهناك من يهلك بها، وقال العلماء على من غلب عندهم الواحد العشرة:"فهؤلاء إنما هم في غفلة".

- ومن شكر الله عز وجل لعباده أن يكتب لك الهمة بالحسنة، فلو هممت بحسنة ولم تقم بها لأي عذر كان، كتب الله لك هذا الإحسان الذي هممت به كاملا، يقول الإمام أحمد -رحمه الله- في كلمته المشهورة: "يا بني انوِ الخير فأنت في خير ما نويت الخير"،انوِ الخير دائما ولا تتردد ولا تتكاسل ولا تعلقها.
- ومن شكر الله عز وجل أنه يغفر الكثير من الزلل بالقليل من العمل، وهذا ما قصدناه في قصة بغي من بغايا بني إسرائيل، حينما رأت كلبا فسقته،وما أخبر عنه النبي -عليه الصلاة والسلام-فقال:[بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ](10)

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: [لَقَدْ رأَيتُ رجلًا يتَقَلَّبُ في الجنةِ في شَجرةٍ قَطعَها مِنْ ظَهرِ الطريقِ كانت تُؤذى الناسَ](11)

هل تخيلت كم من مار سيسلك هذا الطريق، وكم من الأجور التي ستنهال عليه، وكم هناك من الأمور التي من الممكن إبعادها عن طريق الناس بالتوعية والتعليم، كالتبليغ على الحسابات المسيئة، وتلك التي تستهدف الأطفال، والتي تروج للشذوذ، ومن يزين للمراهقين الشرور، فكم سيكون لك من الأجور، فالأمر ليس منوط بكلب أو قطة أو غصن شجرة، بل القضية في أن تنحي كل ما يؤذي عن طريق الناس.

- ومن شكر الله لعباده إخراجهم من النار بأدنى مثقال ذرة من خير، فالذرة هي أصغر بمئة مرة من النقطة التي ترسمها بقلم حبر، ولا ترى بالعين المجردة، ومع ذلك من كان في قلبه ذرة من خير أنقذه الله من الخلود في النار،وهناك من سيُحرق بالنار ويُعذَّب بذنوبه، فلا وجود للإيمان في قلبه، ولم يضحِّ بشيء لله عز وجل ولكن

9أخرجه البخاري: صحيح

10أخرجه البخاري: صحيح

11أخرجه مسلم: صحيح

هناك مثقال ذرة من خير، هذا قد يخرج من النار بعد سنة أو شهر أو أيام بحسب ما فيقلبه من مثاقيل الذر، عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال، قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: [فأقول :يا رب أمتي، فيُقال: انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار، فأنطلق فأفعل] ([12])

فيخرج أناس من النار لأن في قلوبهم مثقال ذرة من خير، وليس فقط مثقال ذرة، بل أدنى وأدنى وأدنى، وهذا يعني أننا نتعامل مع رب شكور لا يضيع هذا الأدنى أدنى أدنى مثقال حبة من خردل، فكيف لنا أن نتأخر في عمل الأكبر؟ ومن ضحى بشيء أكبر من ترك هواه مثلا، وترك شيئا مما يفعله مجتمعه، ومن تاب مما أدمنه طويلا، كيف تكون مقامات هؤلاء؟وكيف سيشكر الله عز وجل صنيعهم وعملهم؟

- ومن شكر الله عز وجل أن يعوض عبده ما تركه له بخير منه، فمن ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه،وعَنْ أَبِي قَتَادَةَ، وَأَبِي الدَّهْمَاءِ قالا: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: [إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا اتِّقَاءَ اللهِ إِلَّا أَعْطَاكَ اللهُ خيرًا منه] ([13])ويرده الله عز وجل عليه أضعافا مضاعفة، وهذا له شواهد كثيرة:

فنبي الله سليمان -عليه السلام- كان يحب الخيل كثيرا، ومن يربي الخيل يحبها كحب أولاده، فلما رأى أن تلك الخيول تلهيه عن ذكر الله عز وجل، عقرها، قال الله تعالى:**{فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ}** (ص، 33) فأبدله الله تعالى بالريح التي تجري بأمره قال تعالى: **{فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ}** (ص، 36) وحيث أصاب، أي بأصبعه.

ويوسف -عليه السلام- حينما صبر على ضيق السجن، أبدله الله بحكم الأرض كلها، وقال الله عز وجل عنه:**{وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}** (يوسف، 56)

وكل يوم هناك منادٍ ينادي في السماء، اللهم أعطِ منفقا خلفا، وأعطِ ممسكا تلفا، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: [ما من يوم يُصبحُ العبادُ فيه إلاّ ملكان ينزلان، فيقول أحدهما :اللهم أعطِ منفقاً خلَفاً، ويقول الآخر:اللهم أعطِ ممسكاً تلفاً]([14])وتحويل عطاء الإنسان إلى هذا الخلف من شكر الله عز وجل.

طالب جامعي كان ذاهبا للمسجد، وإذ بشخص عنده صندوق للتبرعات، ويحث الناس على مشروع معين، ويذكر بحديث الرسول -صلى الله عليه وسلم- قال: [أنفق يا ابن آدم أُنفق عليك] ([15])فتحسس الطالب جيبه فما وجد عنده إلا خمسة فأعطاها للرجل، ووضعها في الصندوق، وما أمسى يومه إلا وقد دخل في حسابه ألفين لجمعية كان مشتركا بها وقد نسيها، فكيف بهذا العوض وقد أتاه مباشرة، ولو تأملت سترى عوض الله يأتيك أحيانا مباشرة، تنفق

12أخرجه البخاري: صحيح

13أخرجه أحمد في مسنده، وقال المحقق شعيب الأرناؤوط وآخرون: صحيح

14أخرجه البخاري: صحيح

15أخرجه البخاري: صحيح

من مصروفك ويأتيك بدلا عنه، وأحيانا يكون العوض بتفريج كربة انتظرت انفراجها طويلا، كالذي انتظر انفراج كربته طويلا، فلما سعى في تفريج كربة أحدهم، فرجت كربته أيضا.

ولذلك يجب ألا ينسى الإنسان أنه يتعامل مع رب كريم، شاكر شكور، وألا يستصغر شيئا من أعمال البر مهما كانت، عن أبي ذر -رضي الله عنه- قال، قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: [لا تحْقِرَنَّ من المعرُوفِ شيْئًا، ولوْ أنْ تلْقى أخاكَ بوجْهٍ طلْقٍ](16).

الذي يتأمل اسم الله الشكور لا يمكن إلا أن يهلل من قلب مخلص، لأنه يعلم أنه لا إله إلا الله، وأنه لا رازق إلا الله عزو جل، ولا واهب إلا الله، عندها لا شعوريا يوحد القلب وجهته لله عز وجل،واسم الله الشكور يجعلك موحدا لله، سليم النفس مطمئنا،

وهذا شكر الله العام.

وهناك شكر خاص يكون للأعمال خاصة، ومنها:

1- الإيمان:

يقول الله عز وجل: {مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا} (النساء، 147)

2- قراءة القران:

يقول الله عز وجل:{إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ (29) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (30)} (فاطر)

3- الحج والعمرة

يقول الله عز وجل: {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ}(البقرة، 158)

4- الصدقة:

يقول الله عز وجل: {إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ} (التغابن، 17)

ولذلك عندما يدخل أهل الجنة الجنة تقالّوا عملهم فيما يرونه من نعيم، فالجنة فيها مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فيتقالّ أهل الجنة عملهم -أي يقولوا إن عملهم قليل جدا بالنسبة لما أعطاهم الله إياه- يقول الله عز وجل عنهم: {جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (33) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (34)} (فاطر)

الله غفور يغفر الذنوب، وشكور يثيب على العمل القليل بالأجر العظيم، عن عتبة بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: قال النبي -عليه الصلاة والسلام-:[لو أنَّ رجلًا يُجَرُّ على وجهِه من يومِ وُلِدَ إلى يومِ يموتُ هرَمًا في مَرْضاةِ اللهِ

16أخرجه مسلم: صحيح

تعالى لحقَّرَه يومَ القيامَةِ][17]أي لو كنت أصلح خلق الله عز وجل، صواما قواما، وتركت كل مافي الدنيا من أجل الله،ستأتي يوم القيامة حاقرا لما فعلت أمام ما تراه من النعيم.

وهذا ما أتى في أجور العبادات بالمجمل، ولكن الله رتّب لكل عبادة أجورا، وجعل لكل تفصيل فيها أجرا لوحده، فلو أخذنا الصلاة كمثال، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: [الصَّلاةُ الْخَمْسُ. وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ. كَفَّارَةٌ لما بينهن. ما لم تغش الكبائر][18].

فالصلوات الخمس كفارة لما بينها من ذنوب مالم تكن كبيرة، ولكن لكل جزء من الصلاة أجر، وهذا من تمام شكر الله لعباده، أنه جل وعلا لا يعطي الأجور جملة واحدة، فلإسباغ الوضوء للصلاة أجر خاص،عن عقبة بن عامر -رضي الله عنه- قال: قال النبي -عليه الصلاة والسلام-:[مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُسْبِغُ الْوَضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ][19].

ولخطواتك إلى الصلاة أجر خاص، عن أبي هريرة -رضي الله عنه قال: قال النبي -عليه الصلاة والسلام-:[مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ أَعَدَّ اللهُ لَهُ نُزُلًا مِنَ الْجَنَّةِ كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ][20].

وعن بريدة -رضي الله عنه- قال: قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: [بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ][21].

وللسجود في الصلاة أجر خاص بها، فيحط عنك بكل سجدة خطيئة، ويرفعك بها درجة عنده،عن ثوبان مولى رسول الله قال: قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: [عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ؛ فَإِنَّكَ لاَ تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلاَّ رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً] [22].

وفي التسبيحات بعد انتهاء الصلاة أجر، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال النبي -عليه الصلاة والسلام-:[مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ، وَحَمِدَ اللَّهَ ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ اللَّهَ ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ، فَتِلْكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَقَالَ :تَمَامَ المِئَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؛ غُفِرَتْ خَطَايَاهُ؛ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ][23] وهذا كله في الصلاة. أما في الصيام، فصوم رمضان كما هو معروف، يغفر

17أخرجه أحمد في مسنده، وقال الألباني: حسن

18أخرجه مسلم: صحيح

19أخرجه مسلم: صحيح

20أخرجه البخاري: صحيح

21أخرجه أبو داود في سننه، وقال الألباني: صحيح

22أخرجه مسلم: صحيح

23أخرجه مسلم: صحيح

ما تقدم من الذنب، ولكن هناك ما هو أخص من هذا، فعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال، قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: [من صام يوما في سبيل الله، بعد الله وجهه عن النار سبعين خريفا][24].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: [كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَلَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ المسك] [25].

أما في الحج فبمجمله ليس له جزاء إلا الجنة، ولكن للوقوف بعرفة وحدها أجر، وللتلبية أيضا أجر، فهذه الأعمال التي يعملها العبد في الدنيا أجورها مفصلة في الآخرة.

والشيء الأهم في موضوع الشكر، أن الكفر بنعم الله يؤذن بزوالها عمن كفر بها، فلا تبقى النعم إلا بالشكر،قال تعالى:{لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ}(إبراهيم، 7)

ويقول الله عز وجل: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ}(النحل، 112)

وهذه القرية هي مكة، قال الشيخ السعدي -رحمه الله-: "وهذه القرية هي مكة المشرفة التي كانت آمنة مطمئنة يأتيها الحجيج من كل مكان، فلا يُروَّع فيها القاتل الذي قتل أباه" أي أنها لشدة أمانها، لو رأى أحدهم قاتل أبيه لم يثأر منه، ولم يذعره، ولا يخوفه، ويدعه يكمل طوافه، لأن مكة بلد آمن، ومعروفة بأنها بلد غير زراعية. ومع ذلك يأتيها رزقها من كل مكان لأنها بلد الله الحرام. فلما كفرت قريش برسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال الله عز وجل: {وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ}(النحل، 113) كفرت بأنعم الله التي أرسلها إليها، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف، ولذلك مما كان يدعو به النبي -عليه الصلاة والسلام-: "اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجاءة نقمتك وجميع سخطك"، وهذه من أعظم الأدعية التي يدعو بها الإنسان ليحوط نفسه وعمله.

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: [لا يشكر الله من لا يشكر الناس] [26]

الذي لا يشكر الناس على معروف صنعوه، لا يمكن أن يشكر الله، لأن الجاحد نعم الناس بالتأكيد هو جاحد لنعم الله عز وجل، فلا يشكر الله عز وجل من لا يشكر الناس، وهذا دليل على أن حقوق الناس مقدمة أيضا.

وأولى الناس بالشكر، هم الوالدين الذين قدما أعظم معروف لك بالحياة، ولا يمكن أن يجازى بأي معروف آخر، لذلك ربط الله عز وجل شكرهما بشكره،قال تعالى: {أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} (لقمان، 14)،وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال -النبي عليه الصلاة والسلام-: [بابان معجلان عقوبتهما في الدنيا البغي-يعني

24أخرجه البخاري: صحيح

25أخرجه البخاري: صحيح

26أخرجه البخاري في الأدب المفرد: صحيح

الظلم- والعقوق] ([27]) فلا يوجد عاق إلا وترى شؤم عقوقه لوالديه في الدنيا، ولو نجح في موازين الأرض فهي مهلة وستُعجَّل له عقوبته.

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: [رغم أنفه، ثم رغم أنفه، ثم رغم أنفه، قِيلَ :مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ» :مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا ثمَّ لم يدْخل الْجنَّة] ([28]).

عندما يكبر الآباء في السن، أو يكونوا من المرضى، يكونون بحاجة لأولادهم، وهناك من الآباء الأصحاء، ولكن كلما كبر الإنسان في السن كانت حاجته إلى مراعاة نفسيته أكبر، فيصبح حساسا هشا، لا يحتمل كما كان شابا، وأما الولد فيكون في عز شبابه، وتكوين أسرته وحياته، فلا يكون لديه ذلك الصبر، والقدرة على تلك المراعاة التي يتطلبها الأبوين، فيأتيهم مرة في الأسبوع فقط، ولكن يقول النبي -عليه الصلاة والسلام- رغم أنفه، رغم أنفه، فهناك باب من أبواب الجنة الثمانية، اسمه باب الوالد للبار بوالديه.

عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: [أَيُّهَا النَّاسُ، تَصَدَّقُوا .فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ .فَقُلْنَ :وَبِمَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ، أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ، مِنْ إِحْدَاكُنَّ، يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ] ([29]).

فلم يقل -عليه الصلاة والسلام- لأنكن نساء فحسب، بل ذكر الحقيقة المعروفة "تكثرن اللعن وتكفرن العشير" فغضب الإنسان إذا وافقه قاموس من الكلام السيء، بما فيه اللعن، ينتج عنه كفران العشير. وكفران العشير أن تقول المرأة لزوجها أني ما ذقت منك خيرا قط، متناسية ما فعله لـأجلها في مقابل موقف واحد أتى على غير هواها، فتأملوا كيف يمكن أن تكون كلمة كفراناً العشير وجحود النعمة سبباً لجعل هذا الإنسان من أهل النار!

ونختم بذكر فضائل الشاكرين، ثم كيف نكون منهم:

1- **الشاكرون هم أكثر المنتفعين بآيات الله**، وقد ذكرنا قصة كفر أهل مكة بأنعم الله، ونستذكر قصة قوم سبأ، وقصة أصحاب الجنة في سورة القلم، الذين غيروا ما كان يخرجه والدهم من صدقة من هذه الجنة واستنكروه، فمنعوها لما انتهى أمر الجنة إليهم ظنا منهم أنهم أكثر ذكاء من أبيهم، وأوسع مداركا في فهم آليات الاستثمار لتنمو وتكثر أموالهم، فأغلقوا بفعلتهم هذه بابا من الأبواب التي كانت تنزل عليهم البركات بسببها، فسورة القلم واضحة بمصيرهم ومصير جنتهم، بعد أن طاف عليها طائف من ربك، فأصبحت كالصريم، إلى نهاية القصة.

فإذا عرف الإنسان مثل هذه القصص، وربى نفسه وأولاده عليها، علم أهمية الشكر وعاقبة الكفر بنعم الله عز وجل.

27أخرجه الحاكم في مستدركه، وقال الألباني: صحيح

28أخرجه مسلم: صحيح

29أخرجه البخاري: صحيح

2- عن عبد الله بن -عمر رضي الله عنهما- قال: قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: [إنَّ لله أقْواماً اختَصَّهُم بالنِّعَمِ لمنَافِعِ العِبادِ، يُقرُّهُم فيها ما بَذلُوها، فإذا مَنَعُوها نَزَعها منهم، فَحوَّلها إلى غَيْرِهِمْ] ([30]).

فاختص الله أناسا بأن أعطاهم من الخير والرزق ما أعطاهم لينفعوا به الناس، فإن كانوا من أصحاب الصدقات وأصحاب المشاريع التي تنفع الناس، أقرهم الله عز وجل على ما هم فيه، وإن قرروا إمساكها عن الناس، والاستئثار بأموالهم لأنفسهم فقط ومنع الصدقات، استبدلهم الله عز وجل بغيرهم ممن يقيم حق الله بهذه النعم، فبقاء هذه النعم منوط بشكرها.

3- **الشكر من أعلى مقامات الإيمان**، ولذلك لما أراد إبليس أن يفتن بني آدم قال كما جاء فيقوله تعالى:{فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (16) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ} (الأعراف) ففي قول إبليس لما عرف حقيقة أن نسبة الفضل والنعمة للرب هي أعلى مقامات الإيمان، بذل وسعه أن يأتي الإنسان عن يمينه وعن يساره ومن فوقه ومن تحته ومن أمامه ومن خلفه، حتى يحجبه عن رؤية حقيقة هذه النعمة.

ونحن نرى من الناس من يرفل في نعيم الله عز وجل، من صحة وعافية وأهل ومسكن وكل أنواع النعيم، ومع هذا تجدهم ساخطين على حالهم، وكأنهم أشقى أهل الأرض، ومن أجل ماذا؟ من أجل تخصص في جامعة لم تسنح لهم فرصة الدخول فيه، أو من أجل إحساس غير مبرر من الابنة بوجود مشكلة مع أمها، أو من أجل اكتئاب مصطنع يسببه المنزل الذي يسكنون فيه!

فتأملوا كيف تُخلق المشكلة من لا شيء، مع أنهم -عند المقارنة بغيرهم- نجدهم فعليا في نعم من عند الله، ولكنهم جحدوا تلك النعمة، وإذا ذُكِّروا بنعم الله عليهم، وأنهم مثلا يفتحون ثلاجة الطعام فيجدونها مليئة بالمأكل والمشرب فلا جوع ولا ظمأ، لا يرون هذا شيئا يستحق الذكر والشكر على النعيم، مع أن هذا من النعيم الذي سيُسأل عنه الناس.

4- **الشكر وسيلة لنيل رضى الله عز وجل**، قال الله عز وجل: {إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ}(الزمر، 7).

5- **وعد الله الشاكرين بأحسن الجزاء**،قال تعالى: {وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ}(آل عمران، 145).

فدوما ما يعلق الله عظيم الأجر على الشكر.

<u>الغني الشاكر أم الفقير الصابر:</u>

من هو الأفضل؟ لم يجعل الله الأفضلية لغني أو فقير، ولا يوجد في عرفه عز وجل هذه الأفضلية، إنما قال تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}(الحجرات، 13) فأتقاهما لله هو الأفضل، وإن تساووا بالفضل فهم متفاوتون بالتقوى، ولذلك لم يكن الغنى والفقر على ميزان واحد أبدا عند الله جل وعلا.

30أخرجه الطبراني في الكبير، وقال الألباني: حسن لغيره

ومن جمال هذا السؤال، معرفة أنه قد يمكن للفقير الصابر أن يكون بمنزلة الغني الشاكر، فلا يعني أن تنعيم الشاكر وماله في الدنيا أنَّه لن يكون له نصيب من الآخرة، بل بشكره لله عز وجل ولأنعمه له منزلة عند الله تعالى.

أركان الشكر:

وللشكر أركان إذا طبقها العبد دخل في قوله تعالى: {وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ}(سبأ، 13) فهم قلة، لأن تمام شكر الله لا يتم إلا بها، وهي:

- **الشكر بالقلب**: وهو الاعتراف بالنعمة باطنا، وهذا شيء مهم جدا، ويكون بمطالعة المنة، بأن الله أنعم عليك دون وجه استحقاق، ومشاهدة الجريمة بتأمل ما أذنبت من ذنوب، في سفرك مثلا، أو في إجازتك الأسبوعية، فتتأمل فتقول: مع كل هذا النعيم والسعادة التي أعيشها، لم يغمض الله عيني، ولم أشكُ من جلطة في قلبي، ولم أقم لمرة والشلل يقيد حركتي، أعصيه ليلا نهارا، سرا وجهرا، ثم أصحوا في اليوم التالي وأنا بتمام الصحة والعافية،

فحينما تطالع المنة وتعترف بها باطنا، هذا هو اعتراف القلب، قال -موسى عليه السلام-:"يارب كيف أشكرك وشكري نعمة من عندك" قال:"الآن شكرتني" فأنت حينما تشكر الله وتحمده، فهذه نعمة من عنده أيضا،وحينما تعلم أنك عاجز عن شكر الله عز وجل، هنا يكون تمام الشكر.قال عز وجل:{**ومابكم من نعمة فمن الله**} (النحل، 53) ويقول النبي -عليه الصلاة والسلام-: [من قال حين يصبح "اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لاشريك لك فلك الحمد ولك الشكر" فقد أدى شكر ذلك اليومومن قالها من ليلته فقد أدى شكر الليلة] ([31])

فتأمل تلك الكلمة السهلة البسيطة، كيف تكون دليلا على شكرك واعترافك بهذه النعمة.

- **وشكر اللسان**: قال تعالى: {**وأما بنعمة ربك فحدث**}(الضحى، 11) ويكون بالحديث عن نعم الله عز وجل، ولا يكون بقصد استعراض النعمة أمام الناس، كما يظن البعض بأن لدي من هذا وذاك، بل تتحدث عن الله لا عن نفسك، قال تعالى:{**كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم**} (النساء، 94) فتتذكر كيف كنت ضالا فهداك، وفقيرا فأغناك، ويتيما فجبرك، ومكروبا فأنعم الله عليك، وهناك فرق بين من يقول "الحمدلله ولدنا وفي فمنا معلقة من ذهب"، ومن يقول "الحمدلله نحن بنعمة وخير، ولكن كيف كان أجدادنا وكيف صرنا" فيسدي النعمة لربه جل وعلا، ويثني عليه بأسمائه وصفاته، فهو الذي أنعم وأكرم،

فلا تكن كافرا بالنعمة، ولا تسكت كأن الله لم ينعم عليك بشيء، وإنما يتحدث الإنسان ليُظهر نعمة الله عز وجل عليه لفضله، وقد يكون الكلام بلسان الحال، فالله يحب أن يرى أثر النعمة على عبده، وما هو بالطغيان والتكبر والإسراف، ولا أن تتماوت وتتفاقر، أو تبخل على نفسك لئلا يعلم الناس بما عندك خشية الكبر، فالواجب أن تشكر الله على إنعامه عليك بلسانك، وتحدث بها عن الله عز وجل وليس عن نفسك.

31أخرجه ابن حبان في صحيحه، وقال ابن حجر: حسن

- **الشكر بالجوارح**: وهو الأهم، وهو الاعتراف بالنعمة، والقيام بالخدمة، فتخدم الله عز وجل بهذه الجوارح التي أعطاك إياها، فكل جارحة لها حظ من العبودية، فاشكر الله بعينك، واشكر الله برأسك، وشعرك، ووجهك، وأذنك، وكل جارحة فيك.

جاء رجل إلى أبي حازم فقال له: يا أبا الحازم ما شكر العينين؟ قال:"إذا رأيت بهما خيرا أعلنه، وإن رأيت بهما شرا، استره" فإن رأيت شرا فاستره ولا تبلغ به، ولا تملأ عينيك به، ولا تقم بفعله، وإن كان خيرا فشاركه وعلمه الناس، ودّلّ عليه، ثم أكمل وقال: وما شكر الأذنين؟ قال: "إن سمعت بهما خيرا وعيته، وإن سمعت بهما شرا دفعته" فإن سمعت شرا غطيت أذنيك، فلا تسمح لنفسك بسماعه، ولا تجلس بمجلس يقال فيه شر، ثم أكمل فقال: وما شكر اليدين؟ قال: "لا تأخذ بهما ما ليس لهما، ولا تمنع حقا لله فيهما" قال: وما شكر الفرج؟ فتلى عليه قول الله تعالى:{والذين هم لفروجهم حافظون (5) إلا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين(6) فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون(7)} (المؤمنون)

ولتفعيل هذه الأركان أربع خطوات يسيرة:

التفكر في نعم الله، واستحضارها، وتذكرها، قال الله عز وجل: {يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم} (فاطر، 3)

إحدى الأمهات كانت تمارس مع ابنتها تمرينا جميلا في كل ليلة، تسأل ابنتها "ما كان أجمل شيء في هذا اليوم؟" وبعد مدة بدأت الأم بتغير المفردات فتقول "ما أكبر نعمة أنعمها الله عليك اليوم؟"تقول كان الأمر في البداية صعبا، حيث كانت البنت صغيرة لا تعي مفهوم النعمة فتطلب أشياء تريدها، وتدرجت بها أمها من كعكة ولعبة وفستان إلى أن جاءت خالتنا اليوم، ولعبت مع صديقتي في الحديقة، وضحكت مع أبي على العشاء، بدأت بالمادية إلى أن أصبحت الفتاة تعلم النعم المعنوية وتستشعرها، وهذا من المفاهيم المهمة التي يجب أن تربى عليها الأجيال.

وفي ضوء هذا مما يطغى على جيل اليوم، عدم الشعور بالنعمة وطغيان المادية على حياتهم، فإن لم يحصل طفل على اللعبة التي يريدها أصابته حالة نفسية، ووصف نفسه بالمعنف، ويقرر الهروب من البيت وغيرها مما نراه من أبناء اليوم، فلابد من زرع استشعار النعمة فيهم من وقت مبكر، وهذا ليس للأطفال فقط، بل للجميع.

متى قعدت مع نفسك قعدة تعد فيها ما أنعم الله به عليك؟ ولربما تمر بحالة اكتئاب وشعورة بالدونية والقلة،فتنكمش على نفسك وتصبح غير قادر على مواجهة الناس، لأنه لم يتحقق ما كان في بالك،وهناك الكثير من النعم التي تعيش فيها وبها، ولكنك لا تستحضرها، يقال انظر في الدنيا لمن هو أقل منك، ولا تنظر لمن هو أعلى منك، فإن كنت مريضا بمرض واحد،فانظر لمن عنده مرضين، وإن كنت تعاني من شيء، فانظر لمن يعاني أضعافك.

افتح حسابك على مواقع التواصل الاجتماعي وراجع قائمتك فإن كنت ممن يتابع الأغنياء ويهتم لما يشترون وما يأكلون وما يفعلون، فالأحرى أن تتابع تلك الحسابات التي تبث أخبار الإفريقيين مثلا، وأصحاب المجاعات والحروب، شاهد كيف يفرحون ببئر وماء نظيف، ومسجد وحلقة قرآن، فبهذا تتغير نظرتك للحياة، وتصبح نظرة موزونة، لا تزدري بها نعم الله عز وجل عليك.

ومما يعينك أن تدعو الله أن تكون من الشاكرين،قال النبي -عليه الصلاة والسلام- لمعاذ: [يا معاذ والله إني لاحبك والله إني لأحبك، فأوصيك: يامعاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم اعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك] ([32]).وجماع الخير في هذه الثلاثة.

والخطوة الرابعة استشعار سؤال الله لهذه النعمة يوم القيامة، يقول الله عز وجل في سورة التكاثر:**{ثم لتسألن يومئذٍ عن النعيم}** (8) سيسألنا الله عز وجل عن النعيم، وعن الخير الذي نرفل فيه، هل شكرنا؟ وهل أدينا حق الشكر؟وهل شكرنا الله بأعيننا وبأجسادنا،وبأيدينا،وأرجلنا، وجوارحنا؟ أم كان شكرا باردا باللسان فقط!

قيل لأعرابي: إنك تموت غدا.

قال: ثم إلى أين؟

قالوا: على الله.

فقال: كيف الوفود على من لم نرَ منه إلا الخير!

أسأل الله أن يجعلنا من الشاكرين الذاكرين، وأن يجعلنا ممن حسنت أعمالهم، اللهم اجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم نلقاك، والحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

تنويه: مادة المحاضرة جمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلُّ بروح المحاضرة ومعانيها

32أخرجه أبو داود في سننه، وقال الألباني: صحيح